**Abdeslam SAHRAOUI**
Université Frères Mentouri Constantine 1

# محـطّات وأحداث بارزة في حياة جبران من خلال كتاب : خليل جبران ، مؤلف «النبي»

## لـ: إسكندر نجّار.

# Khalil Gibran, l'auteur du prophète

نقله عن الفرنسية بسّام حجّار تحت عنوان: جبران خليل جبران

لا بأس أنْ نبدأ بمقولة اقتبسها إسكندر نجار عن أمين معلوف وأثبتها في إحدى الصفحات الأولى من كتابه عن سيرة جبران، يقول فيها أمين معلوف إنّ على الرغم من شهرة جبرانٍ وذيوع صيته في الشرق والغرب وفي كلّ الثقافات واللغات ، « يبقى جبران غائبًا عن معظم المعاجم والمؤلفات الغربية التي تتناول تاريخ الأدب ..لماذا؟» ( إسكندر نجّار: جبرانٍ خليل جبران ، ترجمة : بسّام حجّار . ص: 01) . ويتساءل «نجار» عن ذلك قائلًا: « فهل يفسّر هذا النبذ، بحسب أمين معلوف – وتعليله لا يخلو من وجه حق- بحقيقة أنّ « النبي» عملٌ غير قابل للتصنيف ، ويبقى خارج الأنواع المتعارف عليها ؟ إنّه ليس روايةً ، وليس بحثًا وليس قصيدةً ... إنّه لا يندرج في أيّ نوعٍ أدبيّ محدد، ومؤلّفه أيضًا هو مؤلّفٌ غير قابلٍ للتصنيف : فهو كاتبٌ عربي يكتب بالإنجليزية ، مولودٌ في لبنانٍ وعاشٍ في الولايات المتحدة ، على العتبة بين الشرق والغرب ... جبران حقًّا كاتبٌ محيّر ...»( المصدر السابق. ص: 01).ويؤكّد إسكندر نجّار هذه المسألة قائلًا في كتابه وفي النسخة الأصلية معتمدًا على مقولة أمين معلوف التي يقول فيها :

« C'est peut être le destin de Gibran de demeurer aussi longtemps, trop longtemps, dans le purgatoire des lettres, exilé comme il l'a toujours été. L'immortalité ne lui a pas été octroyée; à sa manière, il l'a conquise et inlassablement reconquise auprès de ses lecteurs. » (Alexandre Nejjar : Khalil Gibran. auteur du Prophète. P : 08).

Et là ; Alexandre Nejjar revient sur le raisonnement de Amine Maalouf pour expliquer cet ostracisme ; ce raisonnement se tient par le fait « que le prophète est un livre inclassable, qui échappe aux étiques. Ni roman, ni essai, ni poème … il n'entre dans aucune catégorie définie. Et son auteur est tout aussi inclassable : Ecrivain arabe qui écrit en anglais, né au Liban et vivant aux états unis, à cheval entre orient et occident, Gibran déroute… » (K. Gibran. P : 11 ).

وعلى الرغم من غياب أو تغييب جبران عن معظم المعاجم والمؤلفات الغربية التي تتناول تاريخ الأدب، إلا أنّ شهرته قد بلغت الآفاق وخاصة بعد صدور كتابه « النبي» الذي حظِيَ بالاهتمام في كلّ بقاع الدنيا وفي كلّ الثقافات واللغات ، وفي هذا السياق يقول Alexandre Najjar في كتابه عن جبران:

« Il y a une énigme Gibran. Depuis 1923, date de la parution de son Chef-d'œuvre Le Prophète, son nom et célébré aux quatre coins du monde. En 1996, les ventes de ce livre- culte ont atteint, aux Etats- Unis seulement, neuf millions d'exemplaires. Traduit dans plus de quarante langues, dont une dizaine de fois en Français, Le Prophète n'a jamais cessé de séduire un très large public. »

(Alexandre Najjar : K. Gibran : 09)

وبعد كلِّ ما قيل ، وقُدِّم من كتبٍ وبحوث وأطروحاتٍ ومقالات ودراسات عن جبرانَ ومؤلفاته العربية والإنجليزية نطرح السؤال التالي: هل قيل كلّ شيء عن جبران وأدبه وفكره؟

وهذا السؤال هو نفسه الذي يطرحه إسكندر نجّار في كتابه خليل جبران مؤلف النبي ، حيث يقول موضّحًا أيضا منهجه في الكتاب، يقول: « جبران حقًّا كاتبٌ محيّر ... لقد كُرّستْ له ولأعماله أعدادٌ لا تُحصى من الكتب والأطروحات الجامعية ، فهلْ استنفد القول فيه ؟ طبعًا لا: فرسائله لمْ تُنشرْ كلُّها، وأحدُ أقربائه في الولايات المتحدة ( النحات خليل جبران )ما زال يمتلكُ على الأرجح عددًا من الوثائق المجهولة . هذا الكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء، والذي يسلّط الضوء على عدد من المعلومات المجهولة أو التي لمْ تُوثّقْ كما ينبغي... [ هذا الكتاب ] لا يطمحُ إلى أنْ يكونَ شاملًا بل يسعى لسردِ مسيرة الفنان ببساطة تُحاكي تلك البساطة التي وسَمتْ كتاباته ، وأنْ يوضّحَ ما أمكن، استنادًا إلى شواهد ومقْتَطفات ، فكرًا مالَ الكثيرون إلى تعقيده بغية إضفاء بُعْد فلسفيّ على أعماله ما كان ليزعمَهُ ، هو، لنفسه.» الأشياء تُقالُ ببساطة ، وبقوّة « ذاك كانَ نهج جبران . وهو هنا نَهْجُنَا نحْنُ أيضًا.» ( جبران خليل جبرانً. إسكندر نجّار: ترجمة : بسّام حجّار .ص:11 ).

وقد قسّم اسكندر نجّار كتابه عن سيرة جبران إلى تمهيد Prologue وستة عشر عنوانًا وكلّ عنوان من هذه العناوين يمثّلُ مرحلة في حياة جبران وسيرته . و كلّ مرحلة هي في الوقت نفسه محطة هامة في حياته، تتضمّنُ أحداثًا بارزة طبعتْ حياة هذا الفنان من المهد إلى اللحد.ثمّ يردف نجّار هذه العناوين الرئيسية بكلمات شكر ، وأخيرًا ببيلوغرافيا خاصة بجبران وأدبه وفنّه..

أمّا العناوين والمحطّات الرئيسية في حياة خليل فقد جاءتْ في الكتاب على النحو الآتي:

تمهيد Prologue

1- بِشَرّي.Bécharré

2- العالم الجديد.Le nouveau monde

3- العودة إلى الينابيع.Retour aux sources

4- مآسٍ.Tragédies

5- البدايات.Les débuts

6- مدينة النور.La ville lumière

7- ماري الحبيبة. « Beloved Mary»

8- نيويورك.New york

9- مَيْ.May

10- الحرب العظمى.La Grande guerre

11- من الطبيعة إلى اللامنتهي.« De la nature vers l'infini »

21- الرابطة القلمية .Le cercle des poètes exilés

31- « النبي».Le Prophète

41- الذات المجنَّحة.Le moi ailé

51- «دعوني أَنَمْ»« Laissez-moi dormir »

61- بعد الموت. Après la mort .

تلك هي العناوين والمراحل الرئيسية في رحلة خليل جبران الشاقة ؛ رحلة العذاب والكآبة التي تلفّ حياته ، والغموض الذي يحجب الكثير من التفاصيل الصغيرة التي حاول إسكندر نجّار أنْ يزيح اللثام عنها قدر الإمكان ؛ ساردًا أحيانًا ومحلّلًا وباحثًا وموثّقًا للمعلومات والأخبار أحيانًا كثيرة ، وبطريقة فنية رائعة .. وبأسلوب ومنهج علمي أكاديمي ، لا يترك صغيرة أو كبيرة في حياة جبران إلّا وقف عندها وأعطاها ما تستحق من الاهتمام والبحث والتوثيق . كلّ ذلك بأسلوب شفاف ولغة جميلة أضفتْ على هذه السيرة الذاتية الغيرية نمطًا من السرد الروائي والقصصي أحيانًا ، يُحوِّل الأحداث إلى أناشيد موحية بعظمة التفاصيل الصغيرة في حياة

البشر البسطاء ، وأحياناً أخرى يحوّلها إلى أنين وأشجان مؤثرة في القارئ الذي يجد متعة حقيقية ، هي متعة الفن والأدب و متعة الكتابة والقراءة على حدٍّ سواء.

ولا بأْس أنْ نقف قليلًا عند بعض المحطّات والمراحل الأساسية في حياة خليل كما وردتْ في كتاب إسكندر نجّار .. وأولى هذه المراحل هي المرحلة الأولى التي عنونها نجّار بـ:

**بشَرّي**.. وبِشَرِّيْ ، هي القرية الجبلية التي وُلد فيها جبران في السادس من جانفي 3881 ، وتقع شمال لبنان حيث تلتقي ثلاث قارات وثلاث ديانات شرق البحر الأبيض المتوسط..هذه القرية الجبلية بسحرها وجمالها وطبيعتها وأديرتها وأوديتها ، وخاصة وادي قاديشا ، هي التي ألهمتْ جبران كتبُه ومؤلفاته ورسوماته .. وهي التي احتضنت طفولته وصباه .. وجاءتْ قصيدته « المواكب « معبّرةً عن شغفه الكبير في طفولته كما في مراحل حياته كلّها بالطبيعة وبلبنان رمز الحياة البسيطة العامرة بالحكمة والألوهية والروحانيات الشرقية.. و هي التي يقول في مطلعها:

أعطني الناي وغنِّ  فالغنا سِرُّ الخلود
و أنينُ النّايِ يبقَى  بعد أنْ يفنَى الوجود...

وكما تأثّر خليل بالبيئة اللبنانية ولبنان وجباله وأوديته وأديرته وبساتينه وسواقيه ، كذلك كان لأمّه « كاملة رحمة « تأثيرٌ عميق في نفسه ظلَّ ثابتًا في كلّ مراحلِ حياته . وكاملة رحمة هي الأم التي كرَّستْ حياتها لتربية أولادها ، وقد كانوا أربعة: بطرسْ من زواجها الأوّل ، ثم جبران ، وبنتاها مريانا وسلطانة . ويشير اسكندر نجّار إلى تأثير هذه الأم البالغ في التكوين النفسي لجبران .. وقد أظهر هذا الأخير ذلك في رسائل عديدة إلى مي زيادة وإلى ابن عمّه «نخلة « وغيرهما..

ثمَّ يشير المؤلف إلى دخول جبران المدرسة الابتدائية ، وبعدها يشير إلى دخول

والده السجن لاتهامه بإساءة الأمانة في جباية الرسوم... وكان ذلك عام 1981 حيث يقول نجّار: « عام 1981م انقلبت الأمور رأساً على عقب : اعتقل والد جبران متّهمًا بإساءة الأمانة في جباية الرسوم ... فجاء الحُكمُ قاسيًا ... وحُجزتْ أملاكه « أملاكٌ وبساتين وحقول وكذلك الأمرُ دارةَ العائلة بكلِّ ما تحتويه من متاع له قيمة... لقد صادروا كلَّ شيء...»( اسكندر نجّار : جبران خليل جبران .ص: 52.)

وفي سنة 5981 ، غادرتْ العائلة عن طريق البحر . وكانت الوجهة العالم الجديد ، أمريكا.. نيويورك ثمّ بوسطن..يقول نجّار : « هناك حيث هبط عام 5481 كما يهبط المرء على سطح القمر ، أوّل مهاجرٍ لبناني..(ص: 62).

> « En 1845, la famille prend le large . Direction ? Le nouveau monde … Boston – là ou en 1845 débarqua, comme sur la Lune le premier émigrant libanais. » (Alexande Nejjar : Khalil Gibran . P : 31)

**2. العالم الجديد Le nouveau monde**

من نيويورك ، وبعد فترة قصيرة جدًّا انتقلتْ العائلة إلى بوسطن وأقامتْ في حيّ فقير ، وفي مسكنٍ متواضع جدًّا ..وهناك التحق جبران بالمدرسة حيث تعلّم القراءة والكتابة بالإنجليزية ولاحظتْ معلّمته ميله إلى الأدب والرسم فشجّعته على ذلك وحثّته على مزاولة الرسم...وعن هذه المرحلة يقول نجّار: « تردّد جبران على هذه المدرسة طوال عامين ، وبقيتْ ذكراها محفورةً في ذهنه ، فهو يُقرُّ بأنَّ عاميْه الأوليْن في بوسطن كانا أشدَّ سنوات عمره بؤسًا . فقد كان مُعينُه الوحيد متمثّلًا بمدرّسيه الذين عاملوه بعطفٍ كبير . وحتى بعد تركِه المدرسة بزمنٍ طويل ، ثابروا على مراسلته والسؤال عن أحواله...» ( بسام حجّار . ص: 92).

وبعد ذلك ، كان لقاؤه الحاسم الذي جمعه بالفنان الأمريكي « فرَدْ هولاند دايْ الرسام الذي كانتْ له مكانةٌ كبيرة وكلمةٌ مسموعة . وقد ساعده وأدخله عالم الرسم على وجه الخصوص ، وأتاحَ له فرص الظهور والإعلان عن موهبته الفذّة خاصة

في فنِّ البورتريه الذي كان فْرَدْ هولاند دايْ يتقنُه ببراعةٍ...

**3. العودة إلى الينابيع.Retour aux sources**

ويعود جبران في 03 أوت 8981 إلى لبنان ، وينزل في مرفأ بيروت ، وكانت هذه العودة من أجل تعلّم اللغة العربية وإتقانها . وكان مسرورا بهذه العودة إلى الينابيع الأولى ومرتع طفولته وصباه.. وهناك يدخل مدرسة الحكمة في بيروت ويقضي بها ما يقارب الأربع سنوات يتعلم العربية وينمّي موهبته في الرسم والكتابة.. وفي هذه الفترة يلتقي بفتاة (امرأة)اسمها سلطانة ثابت وهي أخت « أيّوب» رفيق جبران في المدرسة . كانَ عمرها 22 سنة وهو في الثامنة عشرة سنة من عمره ، وكانتْ قد فقدتْ زوجها ..ويقول عنها جبران:»

- *« Elle était belle, avait des talents et aimait la poésie.»(p :51)*

وقد تبادلا الحب لمدة أربعة أشهر ، وكانتْ هذه التجربة في حياة جبران من أشدّ التجارب تأثيرًا عليه ، خصوصًا أنَّ سلطانة ثابتْ قد خطفها الموت سريعًا ممّا خلّفَ لدى جبران حزنًا كبيرًا عليها.

قضى جبران سنوات في مدرسة الحكمة .. وبعدها قام بزيارة سوريا وفلسطين ومصر ، ثمّ عاد إلى أمريكا في نيسان 1902..

**4. مـآسٍ: Tragédies**

في طريقٍ عودته إلى بوسطن ، توقف جبران في باريس ، وهناك بلغه نبأُ وفاة شقيقته « سلطانة» التي وافتها المنية في 04 نيسان 1902 ... وبعدها وفاة أخيه بطرس، ثمّ وفاة أمه كاملة رحمة.. ولم يبقَ إلى جواره سوى أخته « مريانا»..

**5. البدايات Les débuts**

في معرض للرسامات في بوسطن، أقامه فرد هولا ندايْ ، التقى جبران بسيدة أسمها

« ماري إيليزابتْ هاسكلْ» ، وكان ذلك سنة 1904 وهِي المرأة التي ستصبح « ملاكه الحارس» طول حياته ، وهي كذلك التي ستسنده وتشجّعه وتأْخُذ بيده ، وترعى بنفسها مستقبله كفنّان...

وفي تلك الفترة أيضًا ، يلتقي جبران بإيميلي ميتشال وهي فتاة فرنسية ، مدرّسة اللغة الفرنسية في مدرسة البنات التي أنشأتها ماري هاسكل في بوسطن..وقد كانت علاقة جبران بميشيلين ( إيميلي ميتشال ) تتعدّى حدود الصداقة إلى ما تتعدّاها غالبًا علاقة بين فتى حالم وفتاة فائقة الجمال ، كانتْ تتعرى له ليرسمها..

**6. مدينة النور La ville lumière**

سافر جبران إلى باريس ليقيم فيها على نفقة ماري هاسكل من أجل تطوير قدراته في الرسم والتصوير وكان ذلك سنة 1908..حيث التحق بأكاديمية جوليا Académie Julian ، ومعهد الفنون الجميلة في باريس..وهنا يشير إسكندر نجّار إلى:

لقاء جبران بماري هاسكل التي زارتْ باريس رفقة أبيها ، وكذلك لقائه بميشيلين.. ثمّ يشيرإلى لقائه بصديقه يوسف الحويك .. وهناك في باريس بلغه نبأ وفاة والده في بشرّي في حزيران 1909.

وفي هذه الفترة أيضا يلتقي جبران في باريس بالأديب اللبنانيِ المهجري الذائع الصيتْ آنذاك أمين الريحاني برفقة يوسف الحويك ، وقد سافرا معًا من باريس إلى لندن ، غادر بعدها الريحاني عائدًا إلى أمريكا ، بينما عاد جبران إلى باريس ومنها إلى أمريكا مرة أخرى سنة 0191 بعد قضاء عامين في باريس مدينة الأنوار والفن والجنّ والملائكة..

**7. ماري الحبيبة**

ماري هاسكل هي المرأة التي آمنتْ بجبران وموهبته وإيمانها به هو الذي أطلق جبران إلى عوالم أسمى ..لقد أعطته كل الدعم والرعاية ووفرت له كلّ ما أراد وكلّ

ما كان ينقصه ..لقد وهبته رعايتها واهتمامها الذي فاق كلّ تصور ..وكانت إلى ذلك ملاكه الحارس.. وتبقى علاقته بهذه المرأة الاستثنائية تكتنفها الأسرار مثلما أرادها جبران الذي كان يخفي علاقته بماري حتى على زملائه وأصدقائه في الرابطة القلمية وأرادها أنْ تبقى بعيدة عنهم ..

**8. رحيل جبران إلى نيويورك 1911 .**

**9. ميْ / ميْ زيادة:**

وُلدتْ ميْ سنة 1886 في الناصرة لأبٍ لبناني وأمّ فلسطينية .انتقلتْ العائلة من لبنان إلى القاهرة سنة 1908 . وكانت ميْ تتقن عددا من اللغات من بينها العربية والفرنسية والإنجليزية ..نشرت بتوقيع مستعار مجموعة من القصائد باللغة الفرنسية « أزاهير حلم» Fleurs de rêve باسم « إزيس كوبيا» ..وكمناضلة في الحركة النسوية، جعلتْ من منزلها القائم في مدينة القاهرة صالونًا أدبيًا تستقبل فيه مساء كلّ ثلاثاء، كبار المفكّرين والأدباء في زمانها : طه حسين ، يعقوب صرّوف، لطفي السيد، عبّاس محمود العقاد، اسماعيل صبري، مصطفى صادق الرافعي، أنطون الجميّل، ولي الدين يكن ... وسرعان ما أصبحتْ ملهمتهم...( جبران خليل جبران .ترجمة : بسّام حجّار. ص: 105.)

- لمْ تتعرّف ميْ إلى جبران إلّا في سنة 1912 ، وذلك من خلال مقالته « يوم مولدي «التي نُشرتْ في الصحافة وفتنَها أسلوبها.. وفي السنة نفسها صدر كتابه « الأجنحة المتكسّرة « فقرأته ميْ وأُعجبتْ به فكتبتْ إلى جبران رسالة مهنّئة قالتْ فيها إنّها تشاطره ، على نحوٍ خاص مبدأ المناداة بحرية المرأة...»

-وفي 42 آذار 1913 خلال حفل تكريم الشاعر اللبناني خليل مطران الذي أُقيم في القاهرة ، طلب [جبران] إليها [ ميْ] أنْ تتحدث معرّفةً به وأنْ تقرأ أحد نصوصه نيابةً عنه...»(بسام حجار . ص: 106.)

وكانتْ بين جبران ومي بعد ذلك رسائلٌ كثيرة جمعتها سلمى الحفار الكزبري وسهيلٌ بشروتي تحت عنوان: الشعلة الزرقاء، رسائل حب إلى مي زيادة.. وقد اعترفت مي لجبران واعترف لها هو أيضا بحبه ، وكان الخوف والتردد من الجانبين .. فكان حبًّا روحانيا حالمًا على بعد آلاف الكيلومترات وعن طريق البريد وبقي حبًا مستحيلًا لأسباب عديدة.. وعندما بلغها نبأ وفاة جبران ، أطلقتْ مي صرخة ألم مدوّية .. ولم تمضِ عشرُ سنوات على وفاته حتى تفارق ميْ الحياة ولمْ تحب رجلًا آخر سواه..

**10. الحرب العظمى: La grande guerre**

تحت هذا العنوان يتناول الكاتب الحرب العالمية الأولى ومآسيها على العالم وعلى لبنان على وجه الخصوص.. وقبل ذلك يقول اسكندر نجّار في ص: 811 . ترجمة بسّام حجّار: « وفي خريف سنة 1916 ، كان جبران على موعد مع لقاء جديد ، تعرّف خلاله إلى رجلٍ سيخصّه ، فيما بعد، بكتاب مثيرٍ للجدل ( لإغراقه في نزعته الإنسانية واتخاذه في معظم الأحيانٍ ، منحى روائيا ، وسيعمّر حتى مشارف المئة عام. هذا الرجل يعرفه اللبنانيون جيّدًا، هو الكاتب والفيلسوف ميخائيل نعيمة.. »

-وبعد ذلك يشير نجّار إلى أنَّ جبران قد جنّد نفسه في أثناء الحرب وقبل دون تلكُّؤ ، منصب سكرتير لجنة إغاثة منكوبي سورية وجبل لبنان التي تولّى فيها أمين الريحاني منصب نائب الرئيس... كما انتسب جبران إلى لجنة التطوعْ لسوريا وجبل لبنان التي ترأسها أيوب ثابت، زميل الدراسة ، والمكلّفة بتجنيد سوريي ولبنانييْ أمريكا الراغبين في القتال إلى جانب الحلفاء لتحرير المنطقة من النير العثماني . وبلغ عدد المتطوعين في شهر أيلول ، نحو خمسة عشر ألف رجل التحقوا بفرقة الشرق التابعة للجيش الفرنسي المتمركزة في قبرص..( صك 114)

-وفي سنة 1916 أيضًا التقى جبران بالشاعر الهندي الشهير « طاغور» الحائز على جائزة نوبل للآداب سنة 1913م.يقول اسكندر نجّار عن هذا اللقاء : « بمضي ثلاثِ سنوات عن هذا اللقاء ، لم يتوانَ أحدُ الصحافيين النيويوركيين عن عقد

المقارنة بين الرجلين : « كلاهما يستخدم الأسلوب المجازي في كتاباته ، ويجيد الإنجليزية بمقدار ما يجيد لغته الأم . وكلاهما فنّان في مجالات أخرى غير الشعر..» ( ص: 119).

**علاقات جبران الغرامية:**

-يوردُ اسكندر نجّار في كتابه عن جبران أنّ هذا الأخير أقام علاقات كثيرة مع عدد من النساء في كلّ مراحل حياته ... ولعلّ سلطانة ثابت في بشرّي كانت أول امرأة أحبها جبران في حياته..وهي لمرأة التي توفى زوجها ، كما أنّ العلاقة بينهما لمْ تدم سوى أربعة أشهر ، توفيت بعدها تلك المرأة التي خلّف موتها جرحًا وألمًا في نفس جبران... ثمّ توالتْ العلاقات الغرامية بصورٍ مختلفة في حياته مع نساء كثيرات منها ماري هاسكل وماري زيادة وماري قهوجي وماري الخوري وميشلين وشارلوتْ وهيلانة غُسطينْ التي تؤكّد على غرار ما تؤكده ميشلين وشارلوتْ « بأنّ جبران كان رجلًا يحب النساء» .. وتروي حادثة طريفة تدلّل على سلوك ، هذا الكاتب ، تقول هيلانة غسطينْ:إنّ جبران طلب منها ذات يوم أنْ تشتري له مظلّة . « أريدُ أنْ أقدّمها هديةً لمريانة » قال لها بثقة.. قامتْ هيلانة بجولة على محال المدينة واختارتْ له مظلّة فريدة من نوعها ، مميّزةً عن مثيلاتها . وبمضي أسابيع قليلة ، لمحتْ هذه المظلّة ذاتها في يد امرأة لا تعرفها.فتظاهرتْ بأنّها أُعجبت بالمظلّة المميّزة وسألتها من أين اشترتها . فأجابتْ المرأة وقد تورّد خدّاها خجلًا أنّها هدية من صديقها اللبناني..» ( بسّام حجّار . ص: 123، 124 .)

فهل كان جبران دون جوان بمعنى من المعاني وعلى طريقته ؟؟

وهل كان ميخائيل نعيمة مخطئا أو مدّعيًا عندما قال إنَّ جبران قد أسرَّ إليه يومًا بأنّه « نبأٌ كاذب» وقد أشار نجّار إلى هذا الأمر في كتابه هذا ، كما أثبته نعيمة قبل ذلك في كتابه عن زميله وصديقه جبران..

كتاب « النّبي »:

-كتاب النبي لجبران هو الكتاب الذي غيّر حياة صاحبه وحقق له الشهرة والعالمية التي لطالما كان جبران يحلم بها..وقد صدر هذا الكتاب في أيلول 1923 وهو الذي يقول عنه اسكندر نجّار « أشبه بكتاب مقدّس ، ذلك أنَّ أسلوبه وبناءه ونبرته أقرب إلى أسلوب وبناء ونبرة « الكتاب المقدّس « ( العهد القديم) على نحو خاص ، والأناجيل ، إنّه عملٌ غنيٌّ بالصور الموحية ، وبالأمثال ، ونصّه بناءٌ من الجمل أشبه بالآيات ...» ( ص: 142).

-وهو الكتاب الذي يحدّث فيه جبران الناس بصوت النبوة على لسان المصطفى ، يحدثهم مجيبا عن أسئلتهم حول قضايا وأمور الحياة وشؤونها من المهد إلى اللحد..في مدينة غربته التي اسماها أورفليس والتي قضى فيها اثنتي عشر سنة ، وبعدها تعود سفينته لتقلّه عائدًا إلى مسقط رأسه ، بعد أنْ يجيب عن أسئلة أهل أرفليس الذين تجمّعوا في ساحة المدينة لتوديعه الوداع الأخير.. وما أورفليس كما يقول نعيمة – المدينة التي كان فيها غريبا « يترقّب رجوع سفينته إلّا نيويورك أو أمريكا. وما « الميترا » [ المرأة الرائية] التي اكتشفته وآمنت به قبل كلّ الناس إلّا ماري هاسكل . ولا الجزيرة التي كان يشتاق العودة إليها غير لبنان..ولا وعدُه لأهل أورفليس بأنّه سيعود يوما سوى إيمانه بعقيدة التناسخ...» ( ميخائيل نعيمة: جبران خليل جبران .حياته- موته- أدبه- فنّه. مؤسسة نوفل،ط1981.9. ص: 216.)

-ولا شك أنّ هذه المقتطفات من كتاب إسكندر نجّار عن سيرة خليل جبران ، أنها تبدو كافية لنقل صورة واضحة عن محتوي الكتاب وأسلوب كاتبه ومنهجه في عرض سيرة جبران الكاتب والفنان. عبر مراحل حياته المختلفة من تاريخ ولادته إلى تاريخ وفاته يوم الجمعة 10 نيسان 1931 عند العاشرة وخمس وأربعين دقيقة ، حيث لفظ صاحب « النبيّ « أنفاسه الأخيرة عن ثمانية وأربعين عاما. وبعدها تمّ نقل جثمان جبران من نيويورك إلى بوسطن في 31 نيسان أين أودع مدفنًا مؤقتًا

في إحدى المقابر في ضاحية بوسطن حيث ترقد أمّه وشقيقته سلطانة وأخوه غير الشقيق بطرس.. وبعدها كما يقول نجّار » وفي 23 تموز 1931 وبحضور حشد من المودّعين من أهل وأصدقاء ، غادر جبران ، وقد ضمَّ رفاته نعْشٌ مغطّىً بالعلمين اللبناني والأمريكي ، العالم الجديد على متن الباخرة « سينايا ». ويوم 20 آب1931، وصل الجثمان إلى بيروت ، ودفن في قريته بشري ..وفي 10 كانون الثاني 1932 ، أودع النعش المصنوع من خشب الأرز مغارة محفورة في الصخر ، داخل دير مار سركيس الذي كانت مريانا قد تملّكته إنفاذًا لوصية أخيها ...وهو الآن يرقد هناك رقدته الأبدية..

ولا بأس من إبداء بعض الملاحظات المختصرة حول هذا الكتاب لاسكندر نجّار الذي تناول سيرة جبران فأضاف عملًا قيمًا حول هذا الأديب والفنان اللبناني المهجري المتميز..ويمكننا أن نجمل رأينا في ملاحظات نقدمها على النحو الآتي:

استطاع نجّار في هذه السيرة أنْ يُلقيَ المزيد من الضوء على تفاصيل دقيقة في حياة جبران ، نذكر منها على سبيل المثال ، علاقة جبران بماري هاسكل وطبيعة هذه العلاقة الغامضة المبهمة والصعبة والتي تكتنفها الأسرار.

كذلك علاقة جبران بأمين الريحاني ، والخلاف المحتمل الذي كان بينهما... وقد أشار اسكندر نجّار إلى أنّهما كانا صديقين جمعتهما علاقة طيبة على عكسٍ ما كان رائجا من أنّهما كانا على خلاف دائم..وقد التقيا في باريس ، وسافرا معًا إلى لندن ... ثمّ التقى حبرا ن بأمين الريحاني يوم رحيله من بوسطن ليقيم في نيويورك ، ووقف أمين إلى جانبه وساعده في البداية، حتى أنّ جبران أقام في العمارة نفسها التي كان يقيم بها الريحاني.. وهذا يدلّ على أنّ الصلة كانت ودية بينهما على عكس ما رُوّج في بعض الكتابات..

حديث اسكندر نجّار عن العلاقة الفريدة والغريبة والمذهلة لجبران مع « ميْ «

والتي كانت فقط عن طريق االمراسلات البريدية بينهما .. ولمْ يسبق لكاتب آخر أنْ وقف عندها بالشكل الذي تناولها به اسكندر نجّار..

أشار نجّار إشارة خاطفة إلى مسألة ريادة الشعر المنثور بين الريحاني وجبران ، حيث ينسب هذه الريادة إلى جبران ، وهذا الأمر فيه نقاش وجدل والمتفق عليه أنّ الريادة في هذا الشعر تعود إلى الريحاني الذي تأثر بالشاعر الأمريكي «والتْ وايتمانْ..» صاحب ديوان «أوراق العشب» .

لم يشِرْ نجّار إلى « كتاب خالد » للريحاني إلّا إشارة عابرة لا قيمة لها ، وفي أقل من جملة، وبالتالي فقد أغفل أو أنّه يجهل تأثير هذا الكتاب للريحاني على جبران وكتابته لـ « النبي» وتأثيره أيضا على ميخائيل نعيمة وكتابته لـ « كتاب مرداد » .. حيث أنَّ كتاب الريحاني بالإنجليزية صدر سنة 1191 وقد اطلع عليه جبران ونعيمة وكان الريحاني هو من سبق إلى هذا النوع من الكتابة وقد جاء النبي بعد ذلك وصدر سنة 3291 على شاكلة «كتاب خالد»، وبعده كتب نعيمة بعد عودته إلى لبنان ، وبعد وفاة جبران «كتاب مرداد » The book of Mirdad وهو على شاكلة « كتاب خالد » وكتاب « النبي»..

ما أشرنا إليه في الملاحظة السابقة ، لا ينفي عن جبران استعداده لهذا النوع من الكتابة النبوية الرسولية من خلال تكوينه في صباه وأثر أمّه المتديّنة ، ثمّ ثقافته الشرقية ونزعته الصوفية وميله الشديد إلى الفلسفات الشرقية والروحانيات في الأديان السماوية وخارجها .. يضاف إلى ذلك قراءته وتأثره بكتاب فريدريك نيتشه « هكذا تكلَّم زرادست». وتأثير الإنجيل (العهد القديم) ..ثمَّ الأهم من ذلك حياته في الغرب – في أمريكا وفي مدنية لا يعرف أهلها سوى المادة والسعي المحموم وراء الحياة المادية والربح والدولار ، ممّا ولَّد لديه رغبة في العودة إلى روحانيات الشرق وحضاراته وعقائده السماوية وغير السماوية ، ومخاطبة الغرب بخطاب مختلف كما لو كان إنجيلًا جديدًا ، أو هو بالأحرى محاولة صياغة لكلّ المعتقدات

الشرقية في قالب أدبي مع غلبة أسلوب ولغة الإنجيل في « النبي ».

أمّا قصة « المسوَّدة » مسوّدة « النبي» التي أشار إليها نجّار في كتابه عن جبران والتي يقول إنَّها كانت لجبران منذ طفولته وشبابه الأول والتي يقول نجّار إنَّه أسرَّ بها لأُمِّه ونصحته أنْ يتركها تنضج مع الزمن، فهي لا تستند إلى أدلّة أو وثائق ولم يذكرها جبران في رسائله العديدة . ولذلك، فهي مسألة تحتاج إلى نقاش ونظر ، وقد يختلف القراء والدارسون حول صحتها..ولا بأس في ذلك.. والحقيقة أنَّ جبران في صغره كان حالمًا un rêveur ، وكذلك كان يناديه رفاقه في لبنان في صغره.. ولَمْ تكن لديه آنذاك رؤية ناضجة ومكتملة. ولذلك ظلَّ يتخبّط كثيرًا حتى بعد هجرته إلى أمريكا .. وهذا ما يدلُّنا على أنّ شخصية هذا الفنان والأديب قد تشكّلت لديه تدريجيا وخاصة عن طريق القراءات الواسعة ولقاءاته بشخصيات هامة كان لها الأثر العميق في نمو وتكوين شخصيته الأدبية والفنية بعد ذلك..

وفي الأخير ، لا بد من القول إنّ كتاب أسكندر نجّار عن سيرة جبران خليل جبران يعدّ إضافة قيّمة لما له من فرادة في تناول الكثير من التفاصيل في حياة هذا الأديب العالمي، و التي لم تنل من قبلِ ما تستحقه من اهتمام وتفصيل وتوثيق . وما يزيد من قيمة هذه السيرة هو أنها كُتبتْ باللغة الفرنسية وبجمهور من القراء باللغة الفرنسية ، معظمهم – ربما- لَمْ يتسن لهم قراءة جبران وكتبه باللغة العربية والإنجليزية .. ومن هنا جاءت هذه السيرة لجبران مساهمة قيّمة في الحوار الثقافي واللغوي والأدبي ودليل على التكامل والتبادل والعالمية في الفن والأدب والثقافة بين الشعوب والأمم والثقافات والحضارات واللغات قاطبة .

Alexandre Najjar
Le roman de Beyrouth

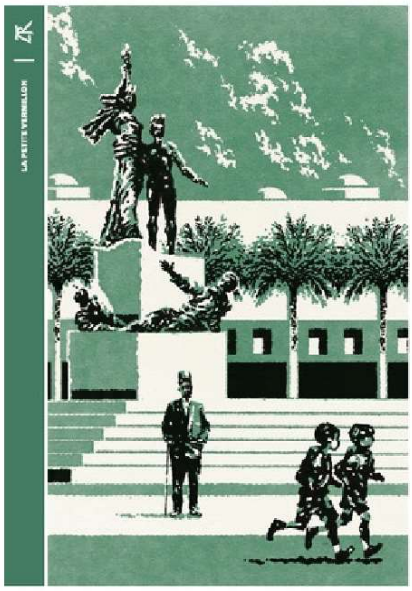


Alexandre Najjar
Le silence du ténor
Une enfance libanaise

Alexandre Najjar
L'école de la guerre

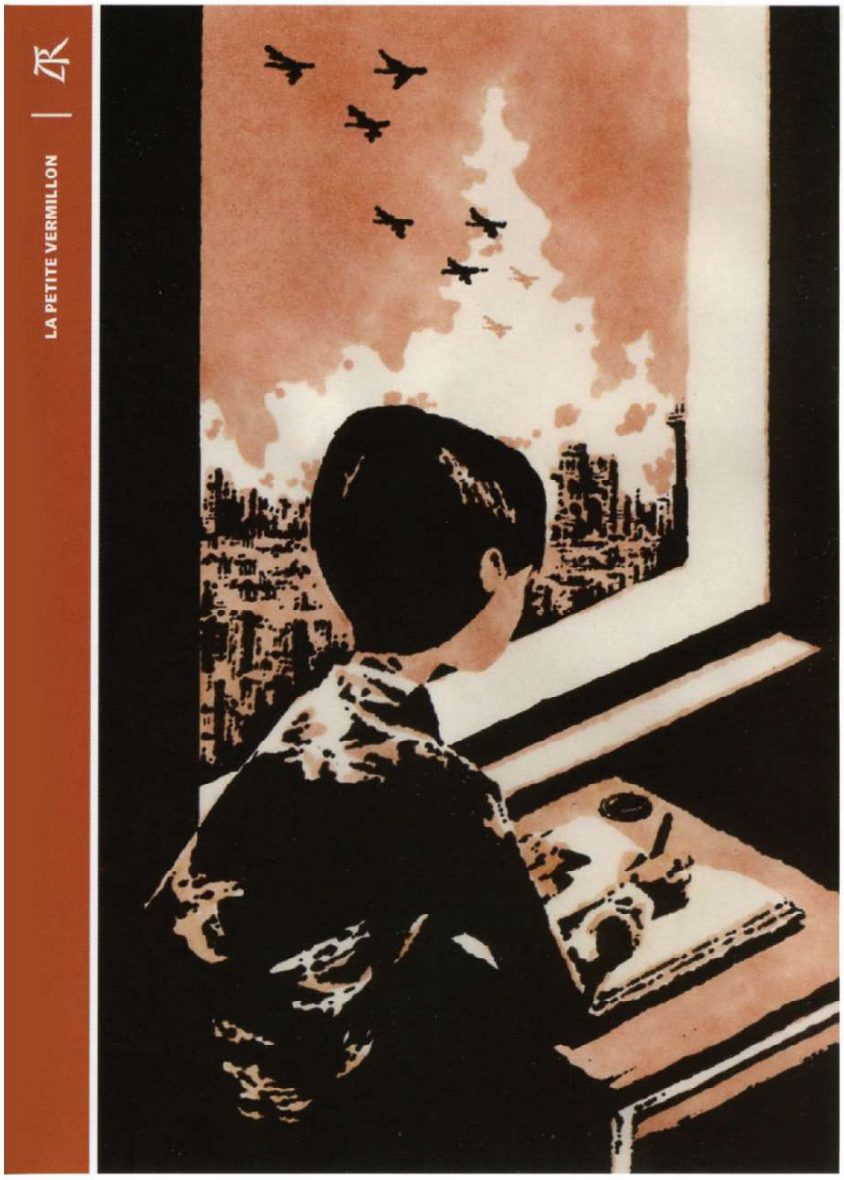


https://www.editionslatableronde.fr/